

الحلقة الرابعة من: مسلك عرفات المحمدي المتهور

في الدعوة إلى الله والتي بعنوان:

ثَعْلَبٌ فِي الْمَصِيدَةِ... وَمَذْهَبُ التَّشْتِيتِ فِي الْفِتَنِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:
من طرائف ما يُحكى عن الثعلب أنه إذا وقع في مصيدةٍ، وأدرك أن الصياد قد أحكم
عليه الخناق، ولم يعد أمامه سبيلٌ إلى الإفلات منها، لم يكن همه دائماً أن يتخلص من
المصيدة نفسها، بل قد يلجأ إلى حيلةٍ أخرى: أن يُشَتَّ الصياد عنه، ويصرف نظره
عن موضعه.

فيبدأ بالحركة في جهاتٍ متعددة، ويضطرب في مكانه، ويثير ما حوله، ويُحدث جلبةً
وضجيجاً، حتى تخرج من جحورها بعض الخنافس، أو تفزع العقارب فتنتشر هنا
وهناك، فيلتفت الصياد مرةً إلى هذه، ومرةً إلى تلك، ويجد نفسه أمام أكثر من أمرٍ
يستدعي النظر والانتباه.

وهنا يكون الثعلب قد أصاب شيئاً من غرضه؛ إذ لم يعد هو وحده مركز المشهد
وموضع المطاردة، بل أصبحت عينا الصياد موزعتين، وذهنه مشغولاً بأكثر من جهة،
وجهدته متفرقاً بين عدة أمور.

فالثعلب لا يريد بالضرورة أن يقتل العقرب، ولا أن يبطد الخنفساء، ولا أن يتخلص من كل ما أثاره حوله؛ وإنما يريد شيئاً واحداً: ألا يبقى هو القضية الوحيدة التي ينظر إليها الصياد.

وكلما نجح في فتح جبهة جديدة، أو إثارة حركة في جهة أخرى، ازداد تشتت الصياد، وقلَّ تركيزه على المصيدة التي علق فيها الثعلب.

وهذا المثل، من حيث المعنى العام، يصلح أن يكون مدخلاً لفهم بعض أساليب الثعلب المكار عرفات المحمدي!! في إدارة الفتن وإثارة التشويش بين الناس؛ فإن من أعظم ما يقوم به من وسائل الإفلات من المحاسبة: أن يُكثر القضايا، ويفتح الملفات المتعددة، ويُخلط الأوراق، حتى تضع القضية الأصلية في زحام القضايا الطارئة.

وَهُنَا يَظْهَرُ مَسْلَكُ التَّشْتِيتِ:

الذي يحسنه هذا الماكر الحبيث من نقل المعركة من قضية إلى قضية، ومن شخص إلى شخص، ومن خطأ إلى خطأ، حتى يصبح المتابع أمام سيلٍ من الأسماء والمواقف والردود، وينسى أصل القضية التي بدأ منها الكلام.

وهذا هو الذي ينبغي التنبيه إليه عند النظر في مواقفه في هذه النازلة؛ إذ لا ينبغي لطالب العلم والباحث أن ينظر إلى كل حادثة منفردة، ولا أن ينشغل بكل جزئية على حدة، بل ينبغي أن يرفع بصره عن تفاصيل المشهد ليسأل سؤالاً أكبر وأخطر:

هَلْ كَثُرَتْ الْمَفَاتِ الْمُفْتُوحَةِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ تُؤَدِّي إِلَى تَشْتِيتِ الْأَنْظَارِ عَنْ أَصْلِ الْإِشْكَالِ؟

فإذا كان أصل البحث متعلقاً بقضايا عظيمة، أريق بسبب بعضها الدماء، وكادت أن تُقسَّم بسببها البلاد، وتزلزلت من أجلها الرجال، واشتد بسببها النزاع؛ ثم يُصرَّ -

مع ذلك - على فتح ملفات جانبية لا صلة لها بأصل النازلة، ولا أثر لها في حل عقدها، حتى يبلغ الأمر أن تُفتح قضية مثلاً: هل الأرض كروية أم مسطحة؟! ثم يُصرُّ على إدخال أشخاص آخرين، واستحضار قضايا متفرقة، ونبش مسائل بعيدة عن محل النزاع؛ حتى يصبح الناس بين عشرات الردود، ومئات المقاطع، وسيلٍ من التعليقات والنقولات، في تشتتٍ رهيب، وتبعثرٍ للجهود، وتفتيتٍ لعزائم القائمين على رد الباطل وكشفه.

إنَّ من أخطر ما يؤخذ على ذاك الثعلب المكار - عرفات المحمدي - فيما يظهر جلياً - من طريقة تعامله مع هذه النازلة أن يُغرق طلاب العلم، ولا سيما الذين لم تتضح لهم الصورة كاملة، في كثرة التفاصيل، حتى يضيع منهم أصل المسألة، وأن يفتح أمامهم جهاتٍ متعددة، فتتوزع قواهم، وتشتت جهودهم، وأن يفتح في كل يوم باباً جديداً، حتى يعجز المتابع عن إغلاق الباب الأول قبل أن يُفاجأ ببابٍ ثانٍ وثالث. فتتحول القضية من تحقيقٍ في أصل الإشكال إلى مطاردةٍ متواصلة للفروع والجزئيات، ومن جمع الأدلة وترتيبها إلى متابعةٍ لا تنتهي للردود والتعقيبات والمقاطع والمواقف؛ حتى يُستنزف الوقت، وتُبعثر الجهود، ويضيع على كثير من طلاب العلم مركز القضية ولُبُّها.

وهذه هي عين الحيلة التي يشبهها حال الثعلب الواقع في المصيدة: لا يستطيع أن يفك قيده، فيكثر الحركة حوله، ويثير ما استطاع من الضجيج، ويبعث الحركة في كل جانب، لعل الصياد ينصرف عنه، أو يتوزع نظره، أو تفرق قوته؛ فلا يبقى الثعلب وحده في دائرة المطاردة.

ولكنَّ المشايخ الفضلاء وطلاب العلم النبهاء ليسوا غافلين عن هذه الحيل، ولا مستسلمين لهذا التشيت؛ بل هم على يقظةٍ تامةٍ من غبار الخطوات المرتبكة، متفطنون

لما يُثار حول القضايا من ضجيج، فلا تحيد أبصارهم عن القضايا العظام التي أُثيرت، ولا ينصرفون عن أصل النازلة التي اضطرب بها الصف السلفي، وكادت أن تُحدث فيه من الشرخ والبلاء ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة.

فمهما كثرت الملفات، وتعددت الجبهات، وتابعت القضايا الجانية، فإن أهل العلم لا يتركون أصل القضية لينشغلوا بها أثر حولها من غبار، ولا يسمحون بأن تُستنزف جهودهم في مطاردة الخنافس والعقارب الصفراء، بينما يبقى الثعلب بعيداً عن دائرة النظر.

إنهم له بالمرصاد، لا يتركون أصل القضية حتى يُفصل فيها بالحق، ولا يسمحون بأن تُدفن القضايا العظام تحت ركام الجزئيات والتفاصيل.

فإما أن يتوب إلى الله توبةً صادقة، ويعلن رجوعه عن أخطائه، ويُبين للناس ما وقع فيه، ويُصلح ما أفسده، ويجبر ما أمكن جبره من آثار ذلك؛ وإما أن تنكشف الحيلة، وتسقط الأقنعة، ويظهر الأمر على حقيقته، فيكون قد وقع في المصيدة التي ظن أنه يفر منها، وأمسك به من حيث أراد أن يفلت، وتُسجَل هذه المواقف في صفحات التاريخ شاهداً عليه، لا يملك محوها بكثرة مكروه وضجيجه، ولا يسترها بفتح المزيد من الملفات، حتى يذهب بعيداً إلى مزبلة التاريخ.

فقد ينجح التشيت في إرباك الغافلين، لكنه لا يضل المتفطنين؛ وقد يثير الغبار في أعين من لا يتبصر، لكنه لا يحجب الطريق عن أهل البصيرة؛ والثعلب مهما أكثر من الحركة حول المصيدة، فإن المصيدة لا تزال في مكانها، والصيد لا يزال ينتظر، والفرصة الأخيرة قبل إغلاق الباب هي: توبةً صادقة، وبيانٌ صريح، وإصلاحٌ لما أفسد.

ولهذا كان من فقه طالب العلم في زمن الفتن أن يعرف أين يضع قدمه، وماذا يقدم، وماذا يؤخر، ومتى يجيب، ومتى يمسك؛ حتى لا تتحول كثرة ما يُثار إلى شبكةٍ أخرى يقع فيها من أراد كشف الحقيقة، فإذا به - من حيث لا يشعر - يطارد الخنافس والعقارب الصفراء فضلاً عن السوداء، وقد نسي الثعلب الذي كان يبحث عنه من أول الأمر!

وهذه هي ثمرة التشيت.

أن يخرج الناس من السؤال الأول بعشرات الأسئلة، ومن القضية الواحدة بعشر قضايا، ومن البحث عن الحق إلى البحث عن الغلبة؛ وهنا ينبغي لطالب العلم أن يكون أذكى من أن يُستدرج إلى هذه الدوامة.

وَمِنْ هُنَا أَقُولُ: التَّشْيِيتُ لَا يُغَيِّرُ الْحَقِيقَةَ:

لا ينبغي لطالب السُّنة أن يكون أسيراً للضجيج الذي يثار حول هذه النازلة، ولا أن يُستدرج إلى مطاردة كل قضية جانبية تُفتح أمامه، بل عليه أن يثبت عند (القضايا الأصلية العظام)، وأن يطالب صاحبها بالجواب عنها واحدةً واحدةً، بالدليل والبرهان، لا بالتشيت، ولا بفتح الملفات الجانبية، ولا بإغراق الساحة بعشرات الردود والمقاطع والتعليقات.

وعليه؛ فليكن السؤال واضحاً، وليكن الجواب أوضح:

يا عرفات المحمدي: هذه القضايا الخطيرة تُسبب إليك، فما جوابك عنها؟

١. الخروج على ولي الأمر والسلطان الشرعي، وما تُسبب إليك في شأن عبد ربه

منصور هادي ورشاد العليمي؛ فما حقيقة موقفك؟ وما مستندك فيه؟

٢. وما حقيقة ما نُسب إليك من التواصي بعدم ذكر هاني بريك للإمام ربيع. رحمه الله . بقصد استصدار فتوى منه بالقتال؟ وهل وقع ذلك منك؟ وما جوابك عن تفاصيل هذه الدعوى ونقولها؟

٣. وما حقيقة اجتماعك مع قيادات المجلس الانتقالي الجنوبي في الرياض، وما نُسب إليك من مباركة موافقه، والدعوة إلى ما جرى في حضرموت والمهرة من توترات، وما ترتب على ذلك من إراقة الدماء، وما نُسب إليك من الدعوة إلى انفصال الجنوب وتقسيم اليمن؟ وما موقفك من وصايا الإمام ربيع. رحمه الله. في شأن وحدة اليمن ودراء الفتن وسفك الدماء؟

٤. وما حقيقة ما نُسب إليك من الطعن في بعض السلفيين وتبديعهم، ومن ذلك موقفك من الدكتور أبي عياض أمجد رفيق. حفظه الله.؟ وما حجتك في ذلك؟ وما أدلتك التي اعتمدت عليها؟

٥. وما حقيقة تركيتك لهشام البيلي، مع ما نُسب إليه من طعون في أئمة وعلماء معروفين، ومنهم الإمام الألباني والعلامة حسن بن عبد الوهاب البنا والعلامة علي الوصيفي. رحمهم الله جميعاً؟ وما موقفك من تلك الطعون أصلاً؟ وما جوابك عن هذا الملف؟

٦. وما حقيقة ما نُسب إليك من وقائع ثبت فيها كذبك و تناقضك، وما يُثار حول طريقتك في معالجة الخصومات من المراوغة والتنقل بين الملفات؟ وما جوابك عن كل واقعة بعينها؟

هذه هي القضايا التي ينبغي أن تكون في مقدمة النظر والمناقشة، لا أن تُدفن تحت مسائل جانبية، ولا أن تُغطى بإثارة عشرات الملفات الأخرى.

فإن كانت هذه الدعاوى باطلة، فلتُبطلها بالدليل، ولتبيّن للناس مواضع الكذب والافتراء، وليطالب من نسبها إليك بالرجوع عنها، وإن كان في بعضها حق، فلتبيّن موقفك، ولتدافع عنه بالحجة.

وإن كنت قد أخطأت، فباب التوبة مفتوح، والرجوع إلى الحق فضيلة، والاعتراف بالخطأ خير من المكابرة، والإصلاح خير من الاستمرار في الخطأ.

أما أن تترك أصل النازلة، وتشتغل الناس كل يوم بملف جديد، وتفتح لهم في كل مرة باباً من التشتيث والتشغيب؛ فهذا ليس بيانا للحق، ولا معالجة للخلل، بل هو مكر في إدارة الفتنة، وخبث في صرف الأنظار، وتضليل لمن لم تتبين له حقيقة النازلة.

فمن عجز عن مواجهة أصل القضية، فتشيعيها لا يبرئها، ومن لم يجد جواباً عن الأصل، ففتح ملف جديد لا يغلق الملف القديم؛ وإنما هو غبار يثار حول المصيدة، لعلّه يعمي الأبصار عن الثعلب الذي وقع فيها.

ولهذا نقول لطلاب السُّنة: لا تطاردوا كل ما يتحرك حول المصيدة؛ انظروا أولاً إلى الثعلب الذي وقع فيها، وطالبوه بالجواب عن القضايا التي أوقعته فيها. فإن جاء بالبيان والحجة، فليسمع منه.

وإن جاء بالاعتذار والتوبة والإصلاح، فذلك خير له وللصف السلفي. أما أن يظل يثير الغبار، ويفتح الأبواب، ويبعث الأوراق، ويشتت الأنظار؛ فذلك لن يغير أصل القضية، ولن يمنع أهل العلم من العودة إلى شكشكته بـ«القضايا العظام» التي بسببها وقع في المصيدة وأراد بمكره إرباك الصف السلفي، وسفكت بسببه الدماء، وكادت الفتنة أن تعصف بالبلاد والعباد، ولكن الله سلّم.

فمهما حاول صرف الأنظار، ومهما أكثر من فتح الملفات، فإن القضايا العظام لا تسقط بالتقادم، ولا تدفن تحت ركام التشتيث، ولا تطمسها كثرة الضجيج، وسيظل

أهل العلم يطالبونه بالجواب عنها واحدة بعد أخرى، حتى يتبين الحق من الباطل،
ويظهر الصادق من المراءوغ. والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم.

وكتب:

أبو العباس بلال بن عبد الغني السالمي عفا الله عنه
الإسكندرية الأحد 10 ربيع الأول 1448 هـ.

<https://www.facebook.com/blal.bn.bdalghny.alsalmy/posts/pfbid016CFocxt7jxMqeswQQ6ZNfr82rf53RNqnUv3EzM6GNnqmS6BZGjc4zpK3A6dS4nZl>